**مخطط درس الملاحظة**

* **ملاحظات عامة**
* **موضوع الملاحظة**
* **تعريف الملاحظة**
* **إشكال "المسافة"**

1. موضوع الملاحظة

يقول كيفي وكوينهود عند حديثهما عن الملاحظة بأنها "تنظر إلى أفعال الفاعلين باعتبارها تجلّيات لأنساق علاقات اجتماعية وإلى الأسس الثقافية والاديولوجية التي تأسس لها"[[1]](#footnote-2)(1)

الملاحظة تقارب مستوى الممارسات، مستوى الأشياء والعلاقة بينهما.

مستوى الممارسات: أفعال الأفراد.

مستوى الأشياء: طريقة إعمار الفضاء والأشياء المختارة لذلك.

العلاقة بينهما: مقاربة الفعل في علاقته بالسياق الذي يرد فيه.

1. الظواهر الملاحظة

قد تكون الكثير من الظواهر الاجتماعية موضوعا للملاحظة ونذكر منها على سبيل المثال: حفل زفاف – ملعب – ساحة مدرسة – الحياة داخل حي – طريقة تأثيث مسكن – سوق – محطة قطار...

1. تعريف الملاحظة

هي من منظورنا : "الرؤية بقصد الفهم"

تفرّق اللغة الفرنسية بين كلمتي Regarder و Observer حيث أن الأولى تعني المشاهدة العابرة وغير المركزّة أما الثانية فتعني تتبع الشيء ومحاولة تفهمه. أما مقابل ذلك في اللغة العربية فهو التفريق بين الرؤية والنظر، فهذه الأخيرة تستوعب الأولى وتضيف إليها مستوا من التأمل المقصود لما نكون بصدد رؤيته[[2]](#footnote-3)(\*)

أما كلمة "قصد" فهي تعني فعلا فينومينولوجيا. إن هذا الفعل يقتضي التركيز على أمر محدد يقوم الباحث بملاحظته والبحث عن تفاصيله وكذا في تفاصيله، من خلال المتابعة المتأنية وتكرار ذلك مرّات عديدة.

أما ما نقصده من كلمة "فهم" هو الانتقال من الموضوع الملاحظ إلى دلالة معنية حوله. من وجهة نظر سيميائية.

تختلف دلالة "فهم" باختلاف الموضوع الذي تتوجه نحوه. ويمكن تصنيف المواضيع بالشكل الآتي:

موضوع

شيء ملموس /أشياء

فاعل/فاعلين

علاقة

شيء - فاعل

فاعل - فاعل

دلالة /دلالات

**ملاحظات:**

غالبا ما يصعب الفهم عند تعاملنا مع الفاعلين، ذلك أن ثمة مستوا وسيط بين الفاعل والدّلالة هو مستوى وعي الفاعل وقصده من فعله، مستوا قد يصعّب عملية بناء الدلالة واستخراجها.

أما عن العمليات الفعلية المدرجة داخل تقنية الملاحظة فيقول ستفان بو Stephane beau و فلورونس فيبر Florence weber

"ترتكز الملاحظة الإثنوغرافية على تتابع مهارات ثلاث متصلة ببعضها البعض: النظر، الاستذكار والكتابة. إن الملاحظة تفترض حركة دائمة بين تكوّن الدلالات، عملية استذكارها وكرّاسة الميدان"[[3]](#footnote-4)(1)

تكوّن الدلالات

كراسة الميدان

عملية استذكارها

1. الملاحظة وإشكال المسافة

إن بدايات الأنتربولوجيا كانت مع المجتمعات الغير أروبية، أي بمعنى آخر مجتمعات مغايرة في ثقافاتها وطرائق عيشها، وفي نهاية القرن الماضي وسّعت الأنتربولوجيا مجال اهتماماتها إلى مجتمعاتها الغربية (المتحضرة). في كلتى الحالتين عندما تقارب الأنتربولوجيا موضوعها فإن ثمّة مشكلة إيبستمولوجية تتعلق بتقنية الملاحظة.

في الحالة الأولى: الباحث يقارب موضوعا مغايرا المشكلة : عدم معرفته / أي

بعيد عن ثقافته وطريقة عيشه شيء عن هذا الموضوع

في الحالة الثانية: الباحث يقارب موضوعا هو جزء من المشكلة :تعوّده التام على

ثقافته وطريقة عيشه كل ماهو موضوع للملاحظة

يسمي الباحثون هذا المشكل المنهجي والإبستمولوجي مجازا بإشكال "المسافة" الفارقة بين الباحث وموضوعه، والتعامل معها يكون من قبيل "جعل ما هو غريب (غير مألوف) معتادا وجعل ما هو معتاد غريبا غير مألوف"[[4]](#footnote-5)(1) أو بمعنى آخر يستوجب على الباحث اقترابه من الموضوع الغريب من خلال عملية تعرّف مستمرة على موضوعه والعكس يستوجب عليه، في حال اقتراب من موضوع مألوف، المسائلة الدائمة للتفاصيل المعروفة لديه والتخلص من سلطان لعادة الحاجب للنظر.

1. 1- Quivy et Copenhoud, Manuel de recherche en sciences humaines et sociales, P144. [↑](#footnote-ref-2)
2. (\*) إننا نرى أن كلمة "نظر" أقرب إلى ما تقصده الأنتربولوجيا في عملها من كلمة "ملاحظة" وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل ليس هنا مقامه وإنما عمدنا إلى استعمال كلمة "ملاحظة" "Observation" لشيوعها في ترجمات مختلف الباحثين ودروجهم على ذلك. [↑](#footnote-ref-3)
3. 1- Ibid, P148. [↑](#footnote-ref-4)
4. 1- Ibid, P149. [↑](#footnote-ref-5)